الفصل الثاني

التكريم بالهداية ومظاهره

وفيه أربعة مباحث:

- **المبحث الأول: التكريم بالفطرة**

المطلب الأول: مفهوم الفطرة

المطلب الثاني: أهمية الفطرة

- **المبحث الثاني: التكريم بإنزال الكتب**

المطلب الأول: الحكمة من انزال الكتب

المطلب الثاني: فضل القرآن على الكتب السماوية الاخرى

- **المبحث الثالث: التكريم ببعث الانبياء والرسل**

المطلب الأول: الرسل هم حجة الله على الناس

المطلب الثاني: حاجة البشرية إلى الرسل

- **المبحث الرابع: التكريم بالشعائر التعبدية**

المطلب الأول: أهمية الشعائر التعبدية

المطلب الثاني: أهم الشعائر التعبدية

المبحث الأول

التكريم بالفطرة

المطلب الأول: مفهوم الفطرة

الفطرة الإنسانية السليمة هي من أصول الإسلام، وأنه مما كرم الله به النوع البشري منذ ظهوره في الأرض، فهي تسوية وعدالة ربانية بين بني البشر، وهذه التسوية أيضاً مظهر من مظاهر التكريم لآدم عليه السلام ولبنيه.

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

و(الفطرة) عرفها العلماء بتعاريف عديدة منها:

ففي اللغة جاء تعريفها بالخَليقة والفِطْرة: «ما فَطَر اللهُ عليه الخَلْق من المَعْرِفة به»[١].

وعرّفها الجُرجاني[٢] في «تعريفاته» بـــ«الجبلة المُتهيَّئة لقبول الدين»[٣].

أما الراغب الاصفهاني[٤] فقد عرفها بأنها «هي ما ركز فيه من قوته على معرفة الإيمان وهو المشار إليه بقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٧]»[٥].

وجاء في «المعجم الوسيط»: الفطرة بمعنى «الخلقة التي يكون عليها كل موجود أول خلقه، والطبيعة السليمة لم تشب بعيب وفي التنزيل العزيز: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾، والفطرة السليمة (في اصطلاح الفلاسفة) استعداد لإصابة الحكم

---

(١) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي. **المخصص-** تحقيق خليل إبراهيم جفال. ط١. بيروت: دار إحياء التراث العربي، (١٤١٧هـ=١٩٩٦م). ج١: ص٢٣٢.

(٢) سبق ترجمته.

(٣) الجرجاني، **التعريفات**. باب الفاء. ص١٥٤.

(٤) سبق ترجمته.

(٥) الراغب، **المفردات في غريب القرآن**. كتاب الفاء. ص٣٨٢.

والتمييز بين الحق والباطل»[1].

والفخر الرازي[2] فسرها بأنها «فطرة الله هي التوحيد فإن الله فطر الناس عليه حيث أخذهم من ظهر آدم وسألهم، [الأعراف: ١٧٢]»[3].

ومن خلال التعاريف التي سبقت تبين التشابه الكبير بين التعاريف وكلها تشير إلى أن الإنسان مفطور على معرفة ربه، لكن ما ذهب إليه الراغب أدق من التعاريف الأخرى أي أن الله تعالى بفضله وكرمه على هذا الإنسان أودع فيه من القوة أي قوة المعرفة ما يعرف به ربه وركز فيه ما يعينه على معرفة إيمانه.

المطلب الثاني: أهمية الفطرة

وهذه الفطرة كما قال العلماء هي الإيمان المعهود الذي أخذ الله عليه الميثاق من بني آدم، وذلك لما ضَرَبَ صُلْبَ آدَمَ (عليه السلام) واستخرج منه كل ذريته، فأخذ عليهم الميثاق وهم في عالم الذر، وقال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

فكل إنسان أخذ عليه هذا الميثاق، وقد يقول قائل: نحن الآن لا نذكر هذا الميثاق، فنقول: يكفي أن يخبرنا الوحي بوقوعه، فنؤمن بوقوعه كسائر أخبار الغيب التي أخبرنا الله عنها، فنصدقها وإن نسينا هذا الميثاق[4].

إذن الفطرة هي ظاهرة من مظاهر تكريم الله لابن آدم أنه خلقه على الفطرة السليمة التي تؤدي إلى عبادة الله وإخلاص الدين له، لأن «الفطرةُ ميزانٌ آخرُ متطابق مع الشرعِ الإلهي، وهو مركوزٌ في أصلِ كيانِ الإنسان ليكشفَ من خلالها خطأه»[5]، ففطر الله ابن آدم على توحيده وإخلاص دينه فعنده الاستعداد للحق إلا من شذ وعرض له عارض حال بينه وبين ذلك.

---

(١) إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط** - تحقيق مجمع اللغة العربية. دار الدعوة. ج٢: ص٦٩٤. (بتصرف)

(٢) سبق ترجمته.

(٣) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٢٥: ص ٩٨.

(٤) ينظر: http://www.lakii.com/vb/a٧٥٨٤٨٠-٦٧/a بتاريخ: ٢٠١٣/٣/٣١.

(٥) ينظر: http://www.nabulsi.com/blue/ar/art.php?art=٦٣١١ بتاريخ ٢٠١٣/٣/٣١م.

ففي الحديث عن أبي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إلا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أو يُنَصِّرَانِهِ أو يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ ثُمَّ يَقُولُ:** ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾»[1]. [الروم: ٣٠].

وأهم وأعظم مظاهر الفطرة وتجلياته هو التوحيد، وهو اعتقاد وحدانية الله تعالى في ربوبيته وألوهيته وفي أسمائه الحسنى وصفاته العلى وجميع حقوقه وخصائصه سبحانه وتعالى، فكل ذرة في الوجود دليل ناطق على هذه الحقيقة الأزلية، وكل الخلائق مهتدية إليها بهداية الله لها ولظهور تلك الأدلة والبراهين في الأنفس والآفاق وفي الحياة والأحياء، ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ١- ٣].

ومن مظاهر الفطرة أيضاً وانعكاساتها في السلوك الإنساني اتباع شرع الله تعالى والتقيد بالمنهاج الرباني، وترك ما سواه من الطرق والمناهج الجاهلية والمحدثة، فقد شرع للناس أفضل الشرائع، وهداهم لأقوم السبل ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ولا شك أن الشريعة الإسلامية هي وحدها الكفيل بإصلاح الدين والدنيا، وإسعاد الإنسان في الآخرة والأولى، وذلك لما تنفرد بها من العقيدة الصحيحة والشعائر الجليلة والشرائع العادلة.

ومن مظاهرها أيضاً طهارة الظاهر والباطن، فإن مما فطر عليه الإنسان وجلب عليه الطهارة من النجاسات والنظافة من الأوساخ، وذلك في ظاهره وباطنه على السواء، حتى يبقى

---

(١) البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب الجنائز. باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه. ح (١٢٩٢). ج١: ص٤٥٦. ومسلم. **صحيح مسلم**. كتاب القدر. باب معنى كل مولود يولد على الفطرة. ح (٢٦٥٨). ص١٠٦٧. (واللفظ للبخاري).

على أصل النقاوة والطيب الذي يتميز به عن سائر الحيوانات الأليفة والمتوحشة، فلا يوجد من الأحياء من يعتني بمظهره ومخبره مثل الإنسان، وهذا من الفطرة التي فطره الله عليها[١].

فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «**الْفِطْرَةُ خَمْسٌ أو خَمْسٌ مِنَ الْفِطْرَةِ الْخِتَانُ وَالاِسْتِحْدَادُ وَتَقْلِيمُ الأَظْفَارِ وَنَتْفُ الإِبْطِ وَقَصُّ الشَّارِبِ**»[٢].

قال الحافظ ابن حجر[٣]: «ويتعلق بهذه الخصال مصالح دينية ودنيوية تدرك بالتتبع منها: تحسين الهيئة وتنظيف البدن جملة وتفصيلاً والاحتياط للطهارتين، والإحسان إلى المخالط والمقارن بكف ما يتأذى به من رائحة كريهة، ومخالفة شعار الكفار من المجوس واليهود والنصارى وعباد الأوثان»[٤].

فيتبين من ذلك أن الفطرةُ هي ذلك الإحساس الروحي الذي يولد مع الإنسان، ويدفعه إلى توحيد الله تعالى، والإقرار بضعفه أمام عظمة الخالق (عز وجل) كما بينه النبي (ﷺ) في الحديث السابق، فإذاً أمرُ الفطرة هنا هو منحةٌ، وهبةٌ إلهيةٌ للناسِ جميعاً، قبل أن تتدخل عوامل أخرى في ضبطها وتنميتها، أو في كسرها وإفسادها، بحسب ما جاء في الحديث.

ويمكن القول بأنها قسمةٌ بالتساوِي بين بني البشر، بما هي إحساسٌ داخلي مرتبط بالجانب الاعتقادي، ومن هنا كان التكريم بالأصل الشعوري الإحساسي للإسلام، الذي هو الفطرة كما نُصَّ عليه في الحديث قبل[٥].

فمن النعم العظيمة على الإنسان أن الله تعالى خلقه مفطوراً على الإيمان والتوحيد، وذلك تكريم وتفضيل، وليستقيم على هذه الفطرة، ويسير بها وفيها إلى الله (عز وجل).

---

(١) ينظر: http://www.lakii.com/vb/a٦٧/a٧٥٨٤٨٠ بتاريخ: ٢٠١٣/٣/٣١.

(٢) **متفق عليه**، البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب اللباس. باب قص الشارب. ح (٥٥٥٠). ج٥: ص٢٢٠٩. ومسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الطهارة. باب خصال الفطرة. ح (٢٥٧). ص١٢٨.

(٣) سبق ترجمته.

(٤) ابن حجر، **فتح الباري**. باب قص الشارب. ج١٠: ص٣٣٩.

(٥) ينظر: http://www.alukah.net/Culture/١٠٨٠/٤١٥٤٠ بتاريخ ٢٠١٣/٣/٣٠م.

المبحث الثاني

التكريم بإنزال الكتب

المطلب الأول: الحكمة من انزال الكتب

إن الله عز وجل نظم الكون بسننه، وسيَّره بقدرته، فالنبات له سنن، والمياه لها سنن، والجبال لها سنن، وقد أكرم الله الإنسان حين أنزل عليه كتاباً يسير على هديه، ويعرِّفه بخالقه ورازقه وما يجب له، فإنّ عقل الإنسان قاصر محدود، لا يدرك تفاصيل المنافع والمضار، وتغلب عليه الشهوات، وتلعب به الأهواء، ولا يعلم ما في الغيب، ولا ما بعد الموت، ولا ما في اليوم الآخر.

ولو وكلت البشرية إلى عقولها القاصرة لضلت وتناحرت وهلكت، ولكن الله برحمته أرسل الرسل بالكتب لبيان ذلك كله. قال الله تعالى: ﴿**لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ**﴾ [آل عمران: ١٦٤].

ومن هذه الحِكم:

۞ أولاً: إخراج الناس من الظلمات إلى النور:

قال تعالى: ﴿ٱلٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

إنما شبه الكفر بالظلمات لأنه نهاية ما يتحير الرجل فيه عن طريق الهداية، وشبه الإيمان بالنور لأنه نهاية ما ينجلي به طريق هدايته، والمعنى أي أنزلنا الكتاب إليك يا محمد لتخرجهم من ظلمات الكفر والجهل والضلالة إلى نور الإيمان والعلم والهداية، فجعل الكفر بمنزلة الظلمات، والإيمان بمنزلة النور على طريق الاستعارة، إلى صراط العزيز الحميد، وهو طريقة الله الواضحة التي شرعها لعباده، وأمرهم بالمصير إليها والدخول فيها[1].

---

(١) ينظر: الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج١٩: ص٥٧. والشوكاني، **فتح القدير**. ج٣: ص١١١.

۞ ثانياً: تحقيق العدالة بين الناس:

ويقول الله تعالى مبيناً لأهم الحِكَم للكتب المنزلة وأعظمها والتي هي العدالة: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

قال الطبري[(١)]: «الميزان: ما يعمل الناس ويتعاطون عليه في الدنيا من معايشهم التي يأخذون ويعطون، يأخذون بميزان، ويعطون بميزان، يعرف ما يأخذ وما يعطي. والكتاب فيه دين الناس الذي يعملون ويتركون، فالكتاب للآخرة، والميزان للدنيا، ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ أي ليعمل الناس بينهم بالعدل»[(٢)].

۞ ثالثاً: التدبر والتفكر:

﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

أي ليتدبَّروا حُجَج الله التي فيه، وما شرع فيه من شرائعه، فيتعظوا ويعملوا به، وليتفكروا في آياته، التي من جملتها هذه الآيات المعربة عن أسرار التكوين والتشريع، فيعرفوا ما في ظاهرها من المعاني الفائقة، والتأويلات اللائقة، واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة القراء: ﴿لِيَدَّبَّرُوا﴾ بالياء، يعني: ليتدبر هذا القرآن من أرسلناك إليه من قومك يا محمد، وقرئ «لتدبروا آياته» بالتاء، على الخطاب، بمعنى: لتتدبره أنت وعلماء أمتك، ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ وليتّعِظ به ذوو العقول الصافية، السليمة من الهوى، فيقفوا على ما فيه، ويعملوا به، فإنَّ الكتب الإلهية ما نزلت إلا ليُتدبر ما فيها، ويُعمَل به[(٣)].

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) الطبري، **جامع البيان**. ج٢٣: ص٢٠٠-٢٠١.

(٣) ينظر: الطبري، **جامع البيان**. ج٢١: ص١٩٠. وابن عطية، **المحرر الوجيز**. ج٤: ص٥٠٢. وابن عجيبة، **البحر المديد**. ج٥: ص٢٣.

۞ رابعاً: التماس البركة والرحمة:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٤-١٥٥].

أي: آتيناه الكتاب الذي أنزلناه إليه تماماً كاملاً جامعاً لجميع ما يحتاج إليه في شريعته، وقوله: ﴿عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ أي: جزاء على إحسانه في العمل، وقيامه بأوامرنا وطاعتنا ﴿وَهَٰذَا﴾ الذي تليت عليكم أوامره ونواهيه أي القرآن ﴿كِتَٰبٌ﴾ عظيم الشأن لا يقادر قدره ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ بواسطة الروح الأمين مشتملاً على فوائد الفنون الدينية والدنيوية، ﴿مُبَارَكٌ﴾ أي كثير الخير ديناً ودنيا، ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن عظم شأن الكتاب في نفسه وصفته موجب لاتباعه، أي فاعملوا بما فيه أو امتثلوا أوامره ﴿وَٱتَّقُوا۟﴾ مخالفته أو نواهيه ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي لترحموا جزاء ذلك(١).

فالكتب السماوية هي حاجة البشرية لأنه لكل إنسان رسالة في حياته تجاه خالقه عز وجل ثم تجاه نفسه ومجتمعه والإنسانية قاطبة، فمن الذي يرسم له الطريق ويحدد الغايات والأهداف؟ ولا ينهض المجتمع إلا على قوانين عادلة تنظم سيره؛ وتكفل العدالة والطمأنينة لأفراده، فمن الذي ينهض بهذا العبء الثقيل في أمان من الخطأ والانحراف؟ وبين الدول صلات وعلاقات تحتاج إلى قواعد ثابتة؛ تحقق العدالة؛ وتدفع الظلم والعدوان؛ وتنشر لواء الحق والسلام على المجتمع الدولي فمن الذي يرسي هذه الدعائم ويسن القواعد؟ وواضح أن العقل البشري يعجز عن إدراك كثير من أسرار الكون والحياة فيما هو مشاهد، ومن ثم فهو عن إدراك ما غاب عنه اعجز، فلا علم له بما يضمره المستقبل، ولا قدرة له بذاته على الإحاطة بشؤون الدنيا والآخرة، ليتسنى له أن يضع التشريع الحكيم الذي يكفل استقامة الفرد والمجتمع ومن هذا تتبين حاجة البشرية إلى الكتب السماوية(٢).

---

(١) ينظر: ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ج٣: ص٣٦٨. والآلوسي، **روح المعاني**. ج٤: ص٣٠٣.

(٢) ينظر: http://www.lakii.com/vb/a٦/a٧٦١٦٠٢ بتاريخ ٢٠١٣/٣/٣١.

ومن هذه الكتب ما سماه الله في القرآن، ومنها ما لم يسم، والذي أخبرنا به عز وجل منها:

١- الصحف التي انزلها الله (ﷻ) على ابراهيم وموسى (عليهما السلام)، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨-١٩].

٢- التوراة التي أنزلها الله (ﷻ) على موسى (عليه السلام)، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ﴾ [المائدة: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٢].

٣- الزبور الذي أنزله الله (ﷻ) على داود (عليه السلام)، ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥].

٤- الإنجيل الذي أنزله الله (ﷻ) على عيسى (عليه السلام)، ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦].

٥- القرآن الكريم الذي أنزله الله (ﷻ) على خاتم الأنبياء والرسل محمد (ﷺ)، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٣].

المطلب الثاني: فضل القرآن على الكتب السماوية الاخرى

والإيمان بالكتب هو التصديق الجازم بأن الله تعالى أنزل كتباً على أنبيائه ورسله هداية لعباده، وأنها من كلام الله حقيقة، وأن ما تضمنته حق لا ريب فيه، كما يجب أن نؤمن بأن هذه الكتب نزلت بالحق والنور والهدى، وتوحيد الله سبحانه، في ربوبيته والوهيته وأسمائه وصفاته، وإن ما نسب اليها مما يخالف ذلك إنما هو من تحريف البشر وصنعهم، فالكتب التي سبقت القرآن قد اختلط فيها كلام الله بكلام الناس من تفسير وتاريخ وسير الانبياء واستنباطات الفقهاء، فلا يعرف فيها كلام الله من كلام البشر، أما

القرآن الكريم فهو جميعه كلام الله و لم يختلط به غيره، ويمكن القول بأنه لا يوجد اليوم على ظهر الارض كتاب تصلح نسبته إلى الخالق تبارك وتعالى سوى القرآن الكريم[1].

فعن التحريف والتغيير الذي أدخله اليهود على التوراة قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]. وقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦]. وقوله تعالى: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ أي التوراة التي أنزلها عليهم، يحرفونها، يجعلون الحلال فيها حراماً، والحرام فيها حلالاً والحق فيها باطلاً والباطل فيها حقاً، كما حرفوا صفة رسول الله (ﷺ) وآية الرجم، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون مفترون، وهذا التحريف ثابت عندهم، منصوص في التوراة والتاريخ الديني الذي يسمى التاريخ المقدس[2].

أما عن التحريف الذي أدخله النصارى على الإنجيل، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۗ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥].

فقوله (ﷻ) ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ المراد به أهل الكتابين التوراة والإنجيل، لكن ذكر الكتاب، وهو اسم الجنس، فينصرف إلى الفريقين يعني اليهود والنصارى،

---

(١) ينظر: الكيرانوي الهندي، محمد رحمت الله بن خليل الرحمن العثماني الحنفي (ت١٣٠٨هـ). **إظهار الحق**. تحقيق محمد أحمد ملكاوي. ط١. الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، (١٤١٠هـ=١٩٨٩م). ج١: ص١٦٨ وما بعدها. وياسين، محمد نعيم. **الإيمان؛ أركانه حقيقته نواقضه**. ط١. عمان: دار الفرقان، (١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م). ص٦٧.

(٢) ينظر: الطبري، **جامع البيان**. ج٢: ص٢٤٦. والسمعاني، **تفسير القرآن**. ج١: ص٩٧. ورشيد رضا، محمد. **تفسير المنار**. ط٢. القاهرة: دار المنار، (١٣٦٦هـ=١٩٤٧م). ج١: ص٢٩٥. والكيرانوي الهندي. **إظهار الحق**. ج١: ص١١٢.

﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد (ﷺ) ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ كصفته (ﷺ) وآية الرجم التي في التوراة، وكبشارة عيسى بأحمد (ﷺ) التي في الإنجيل، وكذلك تأويل الألفاظ إلى معاني تناسب أهوائهم، وتحريفها بالتبديل والزيادات والنقصان، فكل هذا ثابت في كتبهم، ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ مما تخفونه وتحرفونه، فلم يخبر به، ولم يفضحكم، حيث لم يؤمر به، أو عن كثير منكم، فلا يؤاخذه بجرمه وسوء أدبه معه، ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾ قيل: هو الإسلام، وسمي نور لأنه يهتدى به كما يهتدي بالنور، وقيل هو محمد (ﷺ)، وسمي نوراً لأنه يتبين به الأشياء، كما يتبين بالنور، ﴿وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ هو القرآن الكريم[1].

وأما القرآن الكريم فهو كتاب الله وشرعه ومنهجه للبشرية إلى يوم القيامة، فيجب الإيمان به والعمل بمقتضاه. كما ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [التغابن: ٨]، وقال تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

ومن مظاهر التكريم وفضل القرآن على سائر الكتب هو كفالة الله بحفظه، فسلم من التحريف والتبديل، ومن الزيادة والنقصان كما ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. ولا يقبل الله العمل بغيره بعد نزوله، لأنه ناسخ لما قبله من الشرائع، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنْ رَسُولِ اللّه (ﷺ) أَنَّهُ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّد بِيَده لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هٰذه الأُمَّة يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِه، إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَاب النَّارِ**»[2].

---

(١) ينظر: **المصدر نفسه**، ج٢: ص٤٢٧. والسمعاني، **تفسير القرآن**. ج٢: ص٢٣. وابن عجيبة، **البحر المديد**. ج٢: ص٢٠.

(٢) سبق تخريجه.

فهو أعظم الكتب الإلهية، وأفضلها، وأحسنها، وأكملها، أنزله الله على خاتم رسله، وأفضلهم محمد (ﷺ)، وجعله تبياناً لكل شيء، وهدى ورحمة للعالمين، كما قال سبحانه: ﴿... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

فالقرآن العظيم أفضل الكتب، نزل به أفضل الملائكة وهو جبريل (عليه السلام)، على أفضل الخلق وهو محمد (ﷺ)، على أفضل أمة أخرجت للناس وهي هذه الأمة (أمة الإسلام)، بأفضل الألسنة وأفصحها وهو اللسان العربي المبين، بأفضل شريعة وأكملها وهي ما فيه من الأحكام والسنن والفضائل والآداب، فرحمة الله تعالى بعباده اقتضت أن يرسل إليهم من أنفسهم رسلاً يبلغونهم رسالات الله ويبينون لهم طريق الرشاد بالعقيدة الصحيحة، وبتطبيق شريعة الله التي نزلت بها الكتب السماوية لتهدي إلى الخير وتقيم العدل بين الناس، وتفرق بين الحق والباطل، حينما تختلف الأهواء وتحيد النفوس عن الفطرة السليمة، فما أعظمها من كرامة وتشريف للإنسان والذي حظي بها من لدن خالقه سبحانه وتعالى.

المبحث الثالث

التكريم ببعث الأنبياء والرسل

المطلب الأول: الرسل هم حجة الله على الناس

الأنبياء هم رسل الله تعالى إلى عباده يبلغونهم أوامره، ويبشرونهم بما أعد الله لهم من النعيم إن هم أطاعوا أوامره، ويحذرونهم من العذاب المقيم إن هم خالفوا نهيه، ويقصون عليهم أخبار الأمم الماضية وما حل بها من العذاب والنكال في الدنيا بسبب مخالفتها أمر ربها، لكي لا يكون للناس حجة بعد الرسل.

قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٥].

فإن الله سبحانه أراد أن يُبين الحق للناس، وأن لا يكون لأحد عذر أن لا يبلغه الحق والدين؛ ولذلك أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وورد عن النبي (ﷺ) أنه قال: «**وَلا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنْ اللَّهِ وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ الْمُبَشِّرِينَ وَالْمُنْذِرِينَ**»(١).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًاۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٧].

---

(١) وهو من حديث الْمُغيرَة قَالَ قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ لَوْ رَأَيْتُ رَجُلاً مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بالسَّيْف غَيْرَ مُصْفَحٍ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّه ﷺ فَقَالَ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَة سَعْد وَاللَّه لأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَة اللَّه حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْه الْعُذْرُ مِنْ اللَّه وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ الْمُبَشِّرِينَ وَالْمُنْذِرِينَ وَلا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْه الْمِدْحَةُ مِنْ اللَّه وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ اللَّهُ الْجَنَّةَ». **متفق عليه**. البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب التوحيد. باب قول النبي (ﷺ) «لا شخص أغير من الله». ح (٦٩٨٠). ج٦: ص٢٦٩٨. ومسلم. **صحيح مسلم**. كتاب اللعان. باب وجوب الاحداد في عدة. ح (١٤٩٩). ص٦٠٧.

وهذه الأوامر والنواهي الإلهية لا يمكن أن تستقل العقول بمعرفتها؛ ولذلك شرع الله الشرائع، وفرض الأوامر والنواهي، تكريماً لبني الإنسان وتشريفاً لهم وحفظاً لمصالحهم، لأن الناس قد ينساقون وراء شهواتهم فينتهكون المحرمات ويتطاولون على الناس فيسلبونهم حقوقهم، فكان من الحكمة البالغة أن يبعث الله فيهم بين آونة وأخرى رسلاً يذكرونهم أوامر الله، ويحذرونهم من الوقوع في معصيته، ويتلون عليهم المواعظ، ويذكرون لهم أخبار السابقين، فإن الأخبار العجيبة إذا طرقت الأسماع، والمعاني الغريبة إذا أيقظت الأذهان، استمدتها العقول فزاد علمها، وصح فهمها، وأكثر الناس سماعاً أكثرهم خواطر، وأكثرهم خواطر أكثرهم تفكراً، وأكثرهم تفكراً أكثرهم علماً، وأكثرهم علماً أكثرهم عملاً، فلم يوجد عن بعثة الرسل معدل ولا منهم في انتظام الحق بدل[1].

وقال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ ...﴾ [البقرة: ٢١٣].

قال ابن القيم[2]: والشرائع كلها في أصولها وإن تباينت متفقة مركوز حسنها في

---

(١) ينظر: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت ٤٥٠هـ). **أعلام النبوة**. ط١. بيروت: دار ومكتبة الهلال، (١٤٠٩هـ). ص٣٥. والسحيم، محمد بن عبد الله بن صالح. **الإسلام أصوله ومبادؤه**. ط١. المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. (١٤٢١هـ). ص١١٠.

(٢) هو العلامة شمس الدّين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن حريز الزّرعي ثم الدمشقي، المتكلم، الشهير بابن قيم الجوزية، قال ابن رجب: شيخنا ولد سنة إحدى وتسعين وستمائة، وسمع من الشّهاب النّابلسي وغيره، وتفقه في المذهب، وبرع، وأفتى، ولازم الشيخ تقي الدّين ابن تيمية وأخذ عنه وتفنّن في علوم الإسلام، مات في ثالث شهر رجب سنة إحدى وخمسين وسبعمائة وصنّف تصانيف كثيرة جدا في أنواع العلوم، فمن أهم تصانيفه "مراحل السائرين بين منازل إيّاك نعبد وإيّاك نستعين" و"زاد المعاد في هدي خير العباد" و"أعلام الموقعين عن ربّ العالمين" و"إغاثة اللهفان من مكايد الشيطان" وغيرها. ينظر: ابن العماد، **شذرات الذهب**. ج٨: ص٢٨٧ وما بعدها، والشوكاني، **البدر الطالع**. ج٢: ص١٤٣ وما بعدها.

العقول، ولو وقعت على غير ما هي عليه لخرجت عَن الحكمة والمصلحة والرحمة بل من المحال أَن تأتي بخلاف مَا أَتت به: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١]، وكيف يجوز ذو العقل أَن ترد شريعة أحكم الحاكمين بضد ما وردت به، فدعوة جميع الأنبياء والمرسلين في الأصول الجامعة، كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وكالأمر بعبادته وحده لا شريك له، واتباع صراطه وعدم اتباع السبل المخالفة، وتحريم الأجناس الأربعة وهي الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والإثم، والبغي بغير الحق، والإشراك بالله وعبادة الأوثان والأصنام، وتنزيهه عن الصاحبة والولد والشريك والنظير والمثيل، وأن يقال عليه غير الحق، وتحريم قتل الأولاد، وتحريم قتل النفس بغير حق، والنهي عن الربا وعن أكل مال اليتيم، والأمر بالوفاء بالعهود وبالكيل والميزان، وبر الوالدين، والعدل بين الناس، والصدق في القول والعمل، والنهى عن التبذير والكبر، وأكل أموال الناس بالباطل...»[1].

قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١- ١٥٣].

---

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ). **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**. بيروت: دار الكتب العلمية. ج٢: ص٢. والسحيم، **الإسلام أصوله ومبادؤه**. ص١٢٥.

المطلب الثاني: حاجة البشرية إلى الرسل

وعن ضرورة الرسالة وحاجة العباد اليها قال ابن تيمية[1]: «والرسالة ضرورية في إصلاح العبد في معاشه ومعاده، فكما أنه لا صلاح له في آخرته إلا باتباع الرسالة، فكذلك لا صلاح له في معاشه ودنياه إلا باتباع الرسالة، فالإنسان مضطر إلى الشرع لأنه بين حركتين: حركة يجلب بها ما ينفعه، وحركة يدفع بها ما يضره، والشرع هو النور الذي يبين ما ينفعه وما يضره، فهو نور الله في أرضه، وعدله بين عباده، وحصنه الذي من دخله كان آمناً»[2].

وقال أيضاً: «ولولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل المنافع والمضار في المعاش، فمن أعظم نعم الله على عباده، وأشرف مننه عليهم أن أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وبين لهم الصراط المستقيم، ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الأنعام وأشر حالاً منها، فمن قبل رسالة الله واستقام عليها فهو من خير البرية، ومن ردها وخرج عنها فهو من شر البرية»[3].

وجاء في الصحيحين عن أبي موسى (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: «**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ به منْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضاً فَكَانَتْ منْهَا طَائفَةٌ قَبلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثيرَ. وَكَانَ منْهَا أَجَادبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا منْهَا وَانْتَفَعُوا وَزَرَعُوا. وَأَصَابَ طَائفَةٌ منْهَا أُخْرَى إنَّمَا هيَ قيعَانٌ لا تُمْسكُ مَاءً وَلا تُنْبتُ كَلأً فَذَلكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ في دين اللَّه تَعَالَى وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَني اللَّهُ به فَعَلمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بذَلكَ رَأْساً وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّه الَّذي أُرْسلْت به**»[4].

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ). **مجموع الفتاوى**. تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. المملكة العربية السعودية - المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، (١٤١٦هـ=١٩٩٥م). ج١٩: ص٩٩.

(٣) ينظر: **المصدر نفسه**. ج١٩: ص١٠٠.

(٤) البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب العلم. باب فضل من عَلِم وعلّم. ح (٧٩). ج١: ص٤٢. ومسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الفضائل. باب بيان مثل ما بعث به النبي (ﷺ) من الهدى والعلم. ح (٢٢٨٢). ص٩٣٨. (واللفظ للبخاري).

والإيمان بأنبياء الله ورسله أحد أركان الإيمان الستة، فيجب علينا الإيمان بجميع الأنبياء والرسل وتصديقهم، ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم جميعاً، ويجب علينا تصديق ما صح عنهم من أخبار، ومحبتهم، والثناء عليهم من غير إطراء، وتوقيرهم، والصلاة والسلام عليهم عند ذكرهم، والاقتداء بهم في كمال التوحيد وصدق الإيمان وحسن الخلق والدعوة إلى الله، والعمل بشريعة من أُرسل إلينا منهم، وهو سيدهم وخاتمهم الذي أرسله الله إلى الناس كافة محمد (ﷺ)، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

فالواجب الإيمان برسل الله صلوات الله عليهم عامة اعتقاداً وإقراراً إلا أن الإيمان بمن عدا نبينا (ﷺ) هو الإيمان بأنهم كانوا مرسلين إلى الذين ذكروا لهم أنهم رسل الله إليهم وكانوا في ذلك صادقين محقين والإيمان بالمصطفى نبينا (ﷺ) هو التصديق بأنه نبيه ورسوله إلى الذين بعث فيهم وإلى من بعدهم من الجن والإنس إلى قيام الساعة قال الله تعالى: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ فقرن الإيمان برسوله الإيمان به، والإيمان برسول الله (ﷺ) يتضمن الإيمان له وهو قبول ما جاء به من عند الله عنه والعزم على العمل به لأن تصديقه في أنه رسول الله إلزام لطاعته وهو راجع إلى الإيمان بالله والإيمان له لأنه من تصديق الرسل وفي طاعة الرسول طاعة المرسل لأنه بأمره أطاعه، ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء: ٨٠][1].

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٣- ١٦٤].

---

(١) ينظر: البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ). **شعب الإيمان**. تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٠هـ). ج١: ص١٤٥-١٤٩. والتويجري، محمد بن إبراهيم بن عبد الله، **موسوعة الفقه الإسلامي**. ط١. بيت الافكار الدولية، (١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م). ج١: ص١٨٣ وما بعدها.

قال ابن عاشور[1]: «وإنما ذكر الله تعالى هنا الأنبياء الذين اشتهروا عند بني إسرائيل لأن المقصود محاجتهم، وإنما ترك الله أن يقص على النبي (ﷺ) أسماء كثير من الرسل للاكتفاء بمن قصّهم عليه، لأن المذكورين هم أعظم الرسل والأنبياء قصصاً ذات عِبَر»[2].

وقد تبين مما سبق أن الله تعالى بين في القرآن العظيم أن حكمة إرسال الرسل إلى البشر هي من أجل غاية عظيمة اجتمعت عليها جميع أهداف ومقاصد جميع الرسالات السماوية ألا وهي هداية الناس إلى التعريف بالله وأسمائه وصفاته وبيان الطريق الموصل إليه وبيان ما للناس بعد الموت، كلما انحرفوا عن عبادة خالقهم وانصرفوا لعبادة الأوثان والمخلوقات وضلوا عن طريق الحق والصواب، وفي ذلك أعظم تكريم للإنسان وتشريفاً له كي لا يضل ولا يشقى، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

(١) سبق ترجمته.

(٢) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج٦: ص٣٥.

المبحث الرابع

التكريم بالشعائر التعبدية

المطلب الأول: أهمية الشعائر التعبدية

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة: ٢].

وفي تفسير ﴿شَعَٰٓئِرَ﴾ قال الفخر الرازي[١] في تفسيره: أَنَّ الشَّعَائِرَ جَمْعٌ، وَالأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّهَا جَمْعُ شَعِيرَةٍ، وَاخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي الْمُرَادِ بِشَعَائِرِ اللَّه، وَفِيهِ قَوْلَانِ: الأول: قَوْلُهُ ﴿لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ أَيْ لا تُحِلُّوا بِشَيْءٍ مِنْ شَعَائِرِ اللَّه وَفَرَائِضِه الَّتِي حَدَّهَا لِعِبَادِه وَأَوْجَبَهَا عَلَيْهِمْ، وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ فَشَعَائِرُ اللَّه عَامٌّ فِي جَمِيعِ تَكَالِيفِه غَيْرُ مَخْصُوصٍ بِشَيْءٍ مُعَيَّنٍ، وَيَقْرُبُ مِنْهُ قَوْلُ الْحَسَنِ: شَعَائِرُ اللَّه دِينُ اللَّه. وَالثَّانِي: أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ شَيْءٌ خَاصٌّ مِنَ التَّكَالِيفِ[٢].

أما العبادة فهي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة[٣].

أو: «هو فعل المكلف على خلاف هوى نفسه تعظيما لربه»[٤].

فالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء والذكر، والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، وإرضاء بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف لعذابه، وأمثال ذلك، هي من العبادات لله[٥].

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج١١: ص٢٨٠. (بتصرف)

(٣) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. **العبودية**. تحقيق محمد زينهم محمد عزب. دار القلم للتراث، ص٩.

(٤) الجرجاني، **كتاب التعريفات**، باب "العين"، ص١٣٥.

(٥) ينظر: ابن تيمية، **العبودية**، ص٩.

وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة لله والمرضية له، التي خلق لها كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

«والنظام العبادي في الإسلام يقوم بدوره كاملا في تطهير النفس من أدران الفساد، ويحارب نوازع الانحراف والهوى فيها، ولا يحاول قتل الفطرة الإنسانية، بل يهذبها ويصقلها من أجل أداء دور متوازن في تحقيق خلافة الله في الأرض، وهو بذلك يحرّم الرهبانية والعيش خارج حركة الزمن، وهدف الإسلام في هذا المجال خلق إنسان رباني يعبد الله ولا يعبد سواه من مظاهر الحياة المادية»[1].

قال تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

فإذا استعرضنا الصلاة والصوم من صور العبادة التي جاء بها الإسلام، أدركنا أنهما عبادتان لتنمية شخصية الفرد، لتقوية إرادته واستطاعته على المقاومة والمغالبة، فالصلاة: هي مناجاة لله وحده خمس مرات في اليوم، في واقع أمرها تفريغ القلب من زخرف الدنيا وزينتها، لأن لقاء المصلي بالله جل جلاله فيها لا تعدله متعة من متع هذه الدنيا[2].

والصوم: هو حرمان البطن والفرج في الدرجة الأولى حرماناً تاماً في فترة معينة، وهو العبادة المباشرة لتنمية الاختيار والإرادة وقوة المغالبة والمقاومة، فإذا صام الإنسان شهر رمضان من كل عام، انتصر في مقاومته ومغالبته وانتصرت معه الإرادة على شهوة البطن والفرج وانتصر العزم والتصميم على التردد والضعف والتبعية، وإذا استعرضنا بعد ذلك عبادتي الزكاة والحج نجدهما تطبيقاً عملياً لروح الجماعة التي أيقظتها صلاة الجماعة في الأوقات الخمس كل يوم وفي الجمعة كل أسبوع، وفي العيدين كل عام، كلتاهما ينطوي على هذه الروح وكلتاهما يزيد في قوتها وتأكيدها بالسعي والعمل[3].

---

(١) عبد الحميد، محسن. **الفكر الإسلامي: تجديده وتقويمه**، ط١. العراق - الرمادي: مكتبة دار الانبار، (١٤٠٨هـ=١٩٨٧م). ص٥٧.

(٢) ينظر: البهي، محمد. **الإسلام كنظام للحياة**، ط٢. القاهرة: دار التضامن، (١٩٨٢م). ص١٤.

(٣) ينظر: البهي، **الإسلام كنظام للحياة**. ص١٤-١٥.

ومن ثمار العبادة يمكن أن يصل الإنسان بها إلى مرتبة عظيمة، وهي مرتبة الولاية، قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢-٦٤].

و«الأولياء» جمع «ولي»، وهو النصير، وأنَّ صفاتهم الخوف من الله، والإقبال على ما يرضاه، والإعراض عن كلِّ ما سواه، ومن كان بالصفة التي وصفه الله بها، وهو الذي آمن واتقى، وذكر الماوردي[1] في تأويل الولي خمسة أقاويل: أحدها: أنهم أهل ولايته والمستحقون لكرامته، والثاني: هم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾، والثالث: هم الراضون بالقضاء، والصابرون على البلاء، والشاكرون على النعماء، والرابع: هم من توالت أفعالهم على موافقة الحق، والخامس: هم المتحابون في الله تعالى[2].

فهؤلاء لهم كرامة خاصة كما أثبتها العلماء، حيث صنفوا فيها كتباً، واستدلوا بآيات من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وسيرة الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان، فقد اثبتوا لهم الكرامة وإظهار الآيات فيهم[3].

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) ينظر الطبري، **جامع البيان**. ج١٥: ص١١٨. والماوردي، **النكت والعيون**. ج٢: ص٢٤٠- ٢٤١.

(٣) قال اللالكائي: دل كتاب الله عز وجل وما روي عن النبي (ﷺ) والصحابة رضي الله عنهم والتابعين من بعدهم والخالفين لهم رحمة الله عليهم على كرامة أولياء الله تعالى، وإظهار الآيات فيهم ليزداد المؤمنون إيمانا والمرتابون بها خسارا، حيث أثبت الكرامة للأولياء في بعض القصص القرآنية كقصة مريم، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ﴾ [النمل: ٤٠]، وكذلك ما ورد عن النبي (ﷺ) من أخبار الامم السالفة، وأثبتها ايضاً لكثير من الصحابة والتابعين، فقد خصص الجزء التاسع من كتابه "شرح اصول الاعتقاد" لكرامات الأولياء. ينظر: اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي (ت ٤١٨هـ). **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**. تحقيق أحمد بن سعد بن حمدان=

«والكرامة هي ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة، فما لا يكون مقروناً بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجاً، وما يكون مقروناً بدعوى النبوة يكون معجزة»[1].

ومن ذلك قوله تعالى في قصة مريم: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧]، حيث وجد عندها الفاكهة الغضة حين لا توجد الفاكهة عند أحد، أو فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء[2].

وقال الفخر الرازي[3]: «احتج أصحابنا على صحة القول بكرامة الأولياء بهذه الآية، واستدل بحصول ذلك الرزق عندها وأنه خارقاً للعادة، لأنه كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، وفي ذلك روايات متواترة، واستدل أيضاً بقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عمران: ٣٨] على أنه كان آيساً من الولد بسبب شيخوخته وشيخوخة زوجته، فلما رأى انخراق العادة في حق مريم طمع في حصول الولد، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١]، ولولا أنه ظهر عليهما من الخوارق، وإلا لم يصح ذلك، فهذا هو وجه الاستدلال بهذه الآية على وقوع كرامات الأولياء[4].

=الغامدي. ط٨. السعودية: دار طيبة، (١٤٢٣هـ=٢٠٠٣م). ج٩: ص٧٢. والغزنوي، **أصول الدين**. ص١٦٢ وما بعدها. والصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف بالأمير (ت١١٨٢هـ). **الإنصاف في حقيقة الأولياء ومالهم من الكرامات والألطاف**. تحقيق عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر. ط١. المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، (١٤٢١هـ). ص٥٠ وما بعدها.

(١) الجرجاني، **التعريفات**. ص١٨٤.

(٢) ينظر: اللالكائي، **شرح أصول الاعتقاد**. ج٩: ص٧٢.

(٣) سبق ترجمته.

(٤) ينظر: الفخر الرازي. **التفسير الكبير**. ج٨: ص٢٠٧.

المطلب الثاني: أهم الشعائر التعبدية

۞ أولاً: الصلاة:

الصلاة عبادة مشتركة بين الديانات، وهي لون من ألوان الابتهال إلى الله، وكلمة الصلاة لم يستحدثها الإسلام، بل استعملها العرب قبل الإسلام بمعنى الدعاء والاستغفار، وهي مشتقة من الصلة لأنها تصل الإنسان بخالقه وتقربه من رحمة ربه، وهي أقوال وأفعال يُقصدُ بها تعظيم الله مفتتحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم يقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: ١٠٣].

فهي عبادة مفروضة، وضرورة نفسية، ولا ريب أن النوع الإنساني يحتاج لأجل أن يحيا حياة طيبة، إلى عامل أدبي يحد من نزعته الوحشية ويصده عن الانقياد لطبيعته الحيوانية، فالصلاة هي التي تدفعه للتجرد من الأحوال البهيمية، والتخلق بالأخلاق الإلهية في أرفع ما يتخيله العقل من نزاهة وسمو خلقي، فلإنسان إذا لم تتصل روحه بمبدعها، ظهرت عليه عوارض القلق والاكتئاب بسبب ما يلاقيه من مصائب وخيبة أمل، فيحاول التغلب على ما يعانيه من قلق بتعاطي المخدرات، وشرب الخمر، وما المقامرة وركوب الشطط في إشباع الدافع الجنسي إلا محاولة هروبية مما يعانيه صاحبها من آلام نفسية[١].

فالصلاة هي عقد الصلة بين العبد وربه، بما فيها من لذة المناجاة للخالق، وإظهار العبودية لله، وتفويض الأمر له، والتماس الأمن والسكينة والنجاة في رحابه، وهي طريق الفوز والفلاح، وتكفير السيئات والخطايا، قال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١- ٢].

وفيها التقرب إلى الله ومعراج النفس إلى ربها، وتقوية النفس والإرادة والاعتزاز بالله دون غيره، وفيها راحة نفسية كبيرة، وطمأنينة روحية[٢].

---

(١) ينظر: طبّارة، عفيف عبد الفتاح، **روح الصلاة في الإسلام**. ط١٢. بيروت: دار العلم للملايين، (١٩٨١م). ص٢٣-٢٩.

(٢) ينظر: الزحيلي، وهبة. **الفقه الإسلامي وأدلته**، ط١٢. دمشق: دار الفكر، ج١: ص٥٧٤- ٥٧٥.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

«وإقامتها قطع لدابر الكبر والتمرد على الله واعتراف لله بالربوبية والتدبير فإقامتها على كمالها، وتمامها قطع لدابر العجب والغرور، بل قطع لدابر المنكر كله والفحشاء كلها»[(١)].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

۞ ثانياً: الزكاة:

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣].

ويقول سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ [الأنفال: ٣].

ويقول سبحانه: ﴿وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ ...﴾ [البقرة: ١٧٧].

ويقول سبحانه: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [التغابن: ١٦].

«فالزكاة بهذا المعنى طُهرة أي تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك، وإنما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه بإخراجه واستبشاره بصرفه إلى الله، وما أخس من ينظر إلى الفقير وقد ضيق عليه الرزق، وأحوج إليه ثم لا تسمح نفسه بأن يؤدي شكر الله تعالى على إغنائه عن السؤال وإحواج غيره إليه بربع العشر أو العشر من ماله»[(٢)].

---

(١) حوى، سعيد. **المستخلص في تزكية الأنفس**. ط١٢. القاهرة: دار السلام، (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م). ص٣٣.

(٢) الغزالي، الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي. **إحياء علوم الدين**. بيروت: دار المعرفة، ج١: ص٢١٤.

۞ ثالثاً: الصيام:

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

«يخبر تعالى بما منَّ به على عباده، بأنه فرض عليهم الصيام، كما فرضه على الأمم السابقة، لأنه من الشرائع والأوامر التي هي مصلحة للخلق في كل زمان، وفيه تنشيط لهذه الأمة، بأنه ينبغي لكم أن تنافسوا غيركم في تكميل الأعمال، والمسارعة إلى صالح الخصال، ثم ذكر تعالى حكمته في مشروعية الصيام فقال: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ فإن الصيام من أكبر أسباب التقوى، لأن فيه امتثال أمر الله واجتناب نهيه، ومما اشتمل عليه من التقوى: أن الصائم يدرب نفسه على مراقبة الله تعالى، فيترك ما تهوى نفسه، مع قدرته عليه، لعلمه باطلاع الله عليه، ومنها: أن الصيام يضيق مجاري الشيطان، فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، فبالصيام، يضعف نفوذه، وتقل منه المعاصي»[(١)].

وهكذا تبرز الغاية الكبيرة من الصوم، إنها التقوى، فالتقوى هي التي تستيقظ في القلوب، وهي تؤدي هذه الفريضة، طاعة لله، وإيثاراً لرضاه، والتقوى هي التي تحرس هذه القلوب من إفساد الصوم بالمعصية، ولو تلك التي تهجس في البال، والمخاطبون بهذا القرآن يعلمون مقام التقوى عند الله، ووزنها في ميزانه، فهي غاية تتطلع إليها أرواحهم، وهذا الصوم أداة من أدواتها وطريق موصل إليها[(٢)].

۞ رابعاً: الحج:

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [البقرة: ١٩٧]. وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢].

---

(١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**. ص٨٦.

(٢) ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**. ج١: ص١٦٨.

«فالحج تعويد للنفس على معان، من استسلام وتسليم، ومن بذل الجهد والمال في سبيل الله، ومن تعاون وتعارف، ومن قيام بشعائر العبودية، وكل ذلك له آثاره في تزكية النفس»[1].

فهذه من أهم مظاهر الشعائر التعبدية التي كُلِف بها الإنسان، وإنها في الأصل تشريف، وقربة، وتكريم، وفضل، ومنة الله تعالى على عباده، إذ أكرمهم بهذه العبادات لتزكية أنفسهم وترقيتها إلى أعلى الدرجات، فهذه العبادات أساس لبناء الإنسان بناءً سليماً، بناء الكيان الإنساني، البناء النفسي، والبناء الروحي، فالإنسان الذي يبني ذاته يستطيع أن يبني حضارته، حضارة الروح والقيم الروحية أولاً ثم حضارة الآلات والتقنيات.

«وآفة الحضارة المادية أنها سخرت العقول للشهوات، وأخرست نداء الروح وأطلقت نداء الطين، وجحدت أن الإنسان نفخة من روح الله، ورأت أنه كلا وجزءً نشأ من الأرض فلا يجوز أن يرفع رأسه إلى الأعلى يذكر الله وليّ نعمته وسر عظمته»[2].

«فعلى ذلك فان العبادة تمثل الجانب الرحماني في الإنسان، ومهمة الأنبياء والمرسلين والمصلحين والمربين الذين يهتدون بهداهم أن يثيروا فيه هذا الجانب، ويجعلوه في حالة اليقظة الدائمة، فهي نظام متكامل لترقية الإنسان الخلقية، حتى يستحق هذا المقام الكريم ويؤدي التكليف الإلهي له على الوجه الأكمل[3].

لأن الإنسان قد ينجرف وراء الجانب الحيواني لديه، الذي يثيره الشيطان عن طريق النفس الأمارة بالسوء. وهذا الصراع إن لم يتغلب فيه الجانب الرحماني، يعيش الإنسان في شقاء حضاري كبير، وقد نبهنا الله جل شانه إلى ذلك بقوله: ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٤].

---

(١) حوى، **المستخلص**. ص٦٥.

(٢) الغزالي، **الجانب العاطفي من الإسلام**. ص١٠٥.

(٣) عبد الحميد، **الإسلام والتنمية الاجتماعية**. ص٦٤-٦٥.

وانتصار الجانب الرحماني هو الذي ينتهي إلى وضع الإنسان على طريق إنسانيته بتهذيب الغرائز وتعديل عوج الحضارة[1].

إذن العبادات كما حددها الإسلام هي لتنمية الفرد كإنسان، وبالتالي هي لوقايته من أضرار نفسه ومن عدوان غيره عليه، أو عدوانه هو على غيره، فهي صلة بين العبد وخالقه، واستشعار بمراقبة الله تعالى، وتقوية للفرد ليكون فرداً فعالاً مهذباً متوازناً هادفاً في المجتمع، يعرف حقوقه وواجباته فلا يتهاون فيهما، ويعرف حقوق غيره فلا يتجاوز عليها.

(١) ينظر: **المصدر نفسه**، ص٦٥.